

موفقا ناجحا يلتقى فيه قلبان على الحب والوفاء قبل أن يلتقيا على لذة الجسد ومصالحة العيش . وكان يقول لى أيضا : يا خوفي من أن أموت وحيدا فى الظلام ، فبين الألم الذى أعانيه وبين الموت خيط رفيع لا أكاد أراه . . فى قبضة هذا الألم يبدو لى أننى مع الله والموت والظلام فى حجرة مغلقة بلا أبواب ، هنا تبدو الأهمية الكبرى لأن يكون إلى جوارك قلب يؤنسك وتقول بين يديه : آه ، ثم يكون شاهدا على موتك ، حتى لا يموت الإنسان وحيدا بهذه الصورة المحزنة .

تلك هى المعانى التى كان يحدثنى عنها أنور المعداوى وهو يصور لى الأزمات العنيفة التى كانت تسببها له آلام « المغص الكلوى » وهى آلام بالغة القسوة .

كانت العملية الجراحية التى أنبأه الأطباء بضرورة إجرائها خطيرة ، ومع ذلك وافق على إجراء هذه العملية خلاصا من الألم ، وقد قال لى المعداوى إنه عندما قرر إجراء هذه العملية طلب من الاطباء أن يخدروه تخديرا نصفيا لا تخديرا كاملا وأصر على ذلك ، وكانت فلسفته فى ذلك أنه يريد أن يموت وهو مستيقظ واع ولا يريد أن يموت وهونائم ومخدر إذا كان من المقدر له أن يموت فى هذه العملية الجراحية الخطيرة .

ومع ذلك يبدو لى أن المعداوى لم يكن قد أجرى العملية الجراحية عند كتابة هذه الرسالة وإنما هى فحوص طبية أجراها تمهيدا للعملية ؛ يدلنى على ذلك أن الرسالة ما تزال مليئة بالمرح والتفاؤل والإقبال على الحياة ، بينما كانت فترة إجرائه للعملية فترة حزينة مقبضة فى حياته ، وهذا اللون الحزين اليائس من المشاعر سوف نحس به منعكسا على رسائله التالية التى بدأت فيها نغمة الحزن تملو على كل